عالمُ الآثار الحجازيّ سامي العنقاوي:
السّلطات الوَهّابيّة دَفَنَتْ بيتَ رسول الله ﷺ

إعداد: «شعائر»

في العام ١٩٩١م، وأثناء إحدى عمليّات الحفر في ما عُرف بـ«التّوسعة الثّالثة للحرَم المكّيّ» ظهرتْ آثارُ مِحرابٍ قديمٍ وأطلالُ مبنًى تاريخيّ، تبيّنَ لاحقاً بعد الكشفِ عليه من قبل عالِمِ الآثار، والمُهندس المِعماريّ، د. سامي العنقاوي، رئيس «مركز أبحاث الحجّ»، والمتخصّص في آثار مكّة المكرّمة، أنّ المبنى هو بيتُ رسولِ الله ﷺ، وثاني مَهبطٍ للوحيّ الإلهيّ بعد غار حراء، وحيث وُلدت السّيّدة فاطمةُ الزّهراء عليها السلام.

منظر عامّ لبيت رسول الله ﷺ أثناء عمليات الجرف

من نافل القول، إنّ اكتشافاً كهذا يُعدّ حدثاً تاريخيّاً بكلّ معاني الكلمة، لكنّ المفاجأة كانت – كما يقول الدّكتور العنقاوي – في إصرار السّلطات السّياسيّة على مواصلة عمليّة الجَرف، وإزالة الموقع بالكامل، كلّ ذلك بضغطٍ من السّلطات الدّينيّة، خشيةَ أن يتحوّلَ – بزعمهم – بيتُ رسول الله ﷺ إلى مكانٍ لإحياء البِدَعِ والشِّرك والوثنيّة!

محراب في إحدى حجرات بيت رسول الله ﷺ

يقول الدّكتور العنقاوي إنَّ الكشفَ على المكان، ودراسةَ معالمه، وإجراءَ عمليّاتِ الصّيانة المطلوبة، يستلزمُ سنواتٍ من الجُهد المُتواصل، لكن غاية ما أمكنَه الحصول عليه بعد رفعِ تقاريرَ إلى «المسؤولين» هو إمهالُه مدّة أربعين يوماً، لا غير.

وخلال هذه الفترة القصيرة، عمدَ أوّلاً إلى إحاطةِ الموقع بسوُرٍ حديديّ، وعمدَ إلى التّنقيبِ خُطوةً خُطوة، مُستعيناً بخرائطَ قَديمةٍ، ثمّ تدرّجَ بالبحث، حيث صنّفَ الزّيادةَ التي بُنِيَتْ في العهد العَبّاسيّ، والأصليّةَ التي يعودُ تاريخُها إلى أكثرَ من ألفٍ وأربعمائة سنَة. ثمّ عمدَ في المرحلة الأخيرة، إلى إضافةِ كَميّاتٍ من الرّمل بين طبقاتِ المَبنى لِمَنْعِهِ من التّفكُّك، وقد وثّقَ جميعَ خُطُواتِ عملِه بالصّورة، وبالأرقام، وبخرائطَ جديدةٍ استحدثَها.

المرفق العام المستحدَث في المكان

يصفُ الدّكتور العنقاوي بَيْتَ رسولِ الله ﷺ، على النّحو التّالي: «على يَسارِ المَدخلِ نجدُ دارَ الضّيافة، ثمّ نمرُّ على مكانٍ تتوزّعُ منه ثلاثُ غرفٍ رئيسيّة: غُرفة الرّسول ﷺ، وغُرفة لأولاد الرّسولِ ﷺ، وفيها مَوْقِعُ ولادَةِ السَّيِّدَة فاطِمة الزّهراء عليها السلام، وغرفة ثالثة هي مكانُ تعبُّده صلّى الله عليه وآله، وهبوط الوحي فيه..».

هذا، ولم تُجدِ كلُّ محاولات الدّكتور العنقاوي في حمْلِ المَسؤولين السُّعوديّين على استثناءِ بيتِ الرّسول ﷺ من عمليّة التّوسعة، فجاءَ الأمرُ بعد انتهاءِ مُهلةِ الأربعين يوماً، بطَمْرِ المكان بالكامل ودفنِه تحت التّراب، ثمّ رُصِفَ وفُرِشَ بالإسفلت بحجّة تحويلِه إلى ساحةٍ للمُصلّين. وفي مرحلةٍ لاحقة تمّ بناءُ مَرْفَقٍ عامٍّ في هذه السّاحةِ المُستحدَثة فوق بَيْتِ حَبيبِ الله، ورسولِهِ ﷺ.

وهذه الخطوة، تُذكّر بمقولة معاوية بن أبي سفيان: «**لا والله إلّا دَفْناً دَفْناً**»، قالَها للمغيرة بن شعبة، متوعّداً بالقضاء على ذكر رسول الله ﷺ.

يُشارُ إلى أنّ كلام الدّكتور سامي العنقاوي وردَ في أكثر من مقابلة تلفزيونيّة أجراها بهذا الخُصوص، وله عدّةُ مقالات صحفيّة عن جرائم آلِ سُعود في طَمْسِ معالم الحَرَمَين الشّريفَين.